الهوية الإسلامية زمن العولمة

الحمد لله الذي أصلح بلطفه الصالحين، وخلع عليهم خلع الإيمان واليقين، وحفظهم بعنايته مما يقبح ويشين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مالك يوم الدين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي الأمين، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين، وبعد:

لا تستحق أمة من الأمم وصف (الأمة)، حتى تكون لها هويتها المستقلة والمتميزة عن غيرها من الأمم في دينها ولغتها وتاريخها ومظهرها وتعاملاتها، الأمة إذا فَقَدَتْ هُوِيّتها، فَقَدَتْ استقلالها وتميزها، وأصبحت بلا محتوى فكري أو رصيد حضاري، الأمة التي تفقد هويتها تموت وتجذب إليها برابرة الأمم ليتحكموا فيها.

عباد الله: هل تستطيع المجتمعات الإسلامية الحفاظ على خصوصيتها؟ في ظل مفهوم العولمة الذي يسعى من خلاله لتتبادل الخبرات والتجارب مع بعضها البعض تؤثر وتتأثر، هل تحافظ المجتمعات الإسلامية على هويتها في ظل حتمية العولمة التي تسعى لصياغة القيم والأخلاق والمبادئ وفق أهدافها المادية.

- في زمان التحول المادي الذي يختزل الإنسان في جهاز، لم يعد

للهُوِيّة بُعدُها السامي، ويصبح من الضروري حماية الأجيال القادمة من الانسلاخ عن الدين والتغريب، ولذلك ينبغي علينا تعميق سؤال الهُوية في ظلّ التحديات الراهنة، ولكن ما الهُوية التي أتحدث عنها في خطبة اليوم.

عباد الله إنها: «الإيمان بعقيدة هذه الأمة– الاعتزاز بالانتماء إليها– احترام قيمها الحضارية والثقافية– إبراز الشعائر العبادية والاعتزاز بها والتمسك بها– والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية – والقيام بحق الرسالة – وواجب البلاغ – والشهادة على الناس».

عباد الله: واقعنا ينذر بخطر شديد فيما يخص تمييع هويتنا الإسلامية، والتي تتعرض لاختراقات وهجمات لسلب خصوصياتها، وطمس ومسخ الهوية الإسلامية من الوجود وذلك باتهام المسلمين ومصادر تشريعهم، من قبل الآخر على مختلف توجهاته، الإسلام هو العمود الفقري لشخصيتنا، وأساس هويتنا هو الانتماء الحقيقي له، فالدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده: الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. ولكن عندما ضعف التمسك بهذا الدين والالتزام به في نفوس أفراد الأمة ظلّت وتاهت، وأصبحت تبحث عن الهوية المفقودة، إنّ الهوية التي يعتز بها المسلم، والتي جاء القرآن يرسم معالمها هي الإسلام باعتبارها فطرة الله التي فطر الناس عليها; وهي ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾،

وذلك بحكم أنّنا مسلمون أولاً وآخراً، ولأنّه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظلّ مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية، فالهوية الإسلامية هي الشرف الذي نطلبه وننتمي إليه وندافع عنه وننضوي تحته.

الإسلام هو الهوية الراسخة في نفوس أفراد الأمة، والذي يهدي رؤيتهم إلى مختلف القضايا، ويعطيهم الوعي الصحيح والرؤية الواضحة والزاد الحقيقي في مواجهة أعداء الأمة الإسلامية.

لقد أدركت الصليبية والشيوعية والصهيونية والمنافقية بالأمس أنّ الهوية الإسلامية أنفس ما يعتز به المسلم، فأعلنوا الحرب على هذه الهوية، إذ يرون أنّ استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار، ومن ثمّ فإنّ كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستُطْلَقُ في هذا الاتجاه.

ومن أجل طمس هذه الهوية تنوعت الخطط والدعوات، وأُقيمت الندوات والمؤتمرات، وكلها تدعو إلى تمييع الحواجز الدينية بين هذه الديانات، باسم وحدة الأديان، أو الملة الإبراهيمية، أو وحدة الدين الإلهي وأرباب الكتب السماوية، أو كلمة العالمية، يريدون صهر الأديان في شيء واحدة، وصدق الله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. التهجم على

الإسلام ليس وليد اليوم، بل من العهود الغابرة حيث يحرصون كلّ الحرص على تذويب هوية المسلمين وطمس معالمها والنأي بهم بعيداً عن دينهم حتى لا يعود الإسلام إلى الساحة مرة أخرى، ولذلك حرص القرآن على بيان هذه الحقيقة التي ربما يغفل عنها كثير من المسلمين; فقال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾. وقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. لذلك تعددت أساليب الحروب على الإسلام بمسميات كثيرة الحرب على التطرف والإرهاب، والرجعية والأصولية والظلامية.

لقد امتدح القرآن الكريم هذه الهوية وأثنى عليها بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يقول: إنّني من المسلمين بافتخار واعتزاز لأنّه أفضل الأديان، عباد الله: إنّ القرآن الذي سعى لتحرير الإنسان من عبودية غير الله في كل صورها لا يمكن أن يدعه مستسلماً خاضعاً لسلطانٍ في الأرض غير سلطان واحد وهو الدين الذي ارتضه لعباده، ويؤكد القرآن أنّ الإسلام هو هُوية الأنبياء جميعاً، فالذي جاء به مُحَمَّدٌ، هو دين الأَنبياءِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِم، ليس لِلَّهِ دِينٌ سِوَاهُ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. قال أول الرسل نوح عليه السلام:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وقال إبرَاهِيم وإِسْمَاعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. وقَال يَعْقُوب لِبَنِيهِ عنْد الْمَوْتِ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ – إلى قوله – وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾. وقال عيسى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. فالْإِسلامُ دِين أَهل السَّماوَات، ودِين أهل التَّوْحِيدِ من أهل الْأَرْض، لا يَقْبَلُ اللَّهُ من أَحدٍ دِينًا سواه، والله عز وجل سمانا من قَبْلِ القرآن وفي القرآن بالمسلمين فقال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾.

إنّ أعداء الهوية الإسلامية يعلمون أنّ الإسلام كدين هو (البديل الحضاري) القوي، الذي يمكنه دون غيره أن يملأ الفراغ الذي تعانيه الحضارة المادية الغربية اليوم؛ لأنّه يملك نموذجاً متكاملاً للحضارة، لذلك يصرحون بأنّ الخطر القادم هو الإسلام، ومن هنا يتضح أنّ الأمة مستهدفة في ذاتها، وهويتها، وفي دينها.

ويبقى الإسلام معلماً من معالم ثوابت الهوية الإسلامية، وهو الحصن الذي تتحصن به الأمة الإسلامية في مجابهة أعدائها.

وتبقى العقيدة هي الشعار الذي نردده: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. فقد حذرنا القرآن من المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، ومن كل: عابد أوثان، وعابد نيران، وعابد شيطان، وصابئ حيران؛ يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل، وتعطيل الشرائع، فقد علّمنا أن نردد في كل يوم هذا الشعار: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

بدايةً بكل معتقد، ونهاية بالشكل الظاهر في الملبس والهيئة؛ ومرورًا بكل أمور الحياة العملية.

****

الخطبة الثانية

ومن معالم الهوية التميز والبراءة من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾. فشريعتنا تامَّة الموضوع، محددة المعالم، تحدِّد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفَه ووظيفته وغايته في الحياة، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

إنّ معرفتنا وأبناءنا لعقيدتنا مهم للغاية، وهو الأساس، لذلك تسعى العولمة إلى طمسه وإعادة تشكيل رؤى الناس وتصوراتهم للحياة على أساس الثقافة الغربية المعاصرة في نسختها الأمريكية تحديدًا، ولعل أخطر

ما استهدفه الغرب هو هدم شخصية الأمة هدمًا عقديًّا وحضاريًّا، **ولا يخفى أن انهدام الشخصية يساعد على مصيبتين:**

الأولى: قبول الزيف والأباطيل.

والثاني: يدفع إلى التبعيَّة.

ولهذا كان لابد إذا رغبت الأمة أن لا تؤثر فيها مخططات المتربصين أن تبني شخصيتها على التوحيد، فالأمة الإسلامية هي أمة المعيار التي وكّل الله إليها أمر الشهادة على الناس والقيادة لهم بما تمتلك من قيم معصومة محفوظة في الكتاب والسنة.

قال الشيخ صالح الفوزان: "والتعاون بين الأديان ومساواة الدين الباطل بالدين الحق، ثمّ لا يثبتون على هذا؛ بل يريدون إزالة الإسلام، فهم يقتلون المسلمين ويشردونهم من أجل أن يصرفوهم عن دينهم، ويريدون أن لا يبقى على وجه الأرض مسلم، هذه أمنيتهم، وهذا قصدهم".

ولطمس هذه الهوية العقدية يعملون على التشكيك في المعتقدات الدينية، ونزع المقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي اللاديني الغربي أو إحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية، وتبني بعض الشعارات كالتقريب بين الأديان" و"وحدة الأديان" و"التآخي بين الأديان" و"حوار الحضارات" و"النظام العالمي الجديد" والهدف بث الكفر، والإلحاد، ونشر الإباحية، وتغيير الفطرة، لذلك كان

أخطر ما تسعى إليه العولمة هو نزع المتعاليات وكسر المقدسات، ومن أجل تهديم الحصن الذي يتخندق فيه المسلمون وهو العقيدة تراهم يدعون إلى وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها، لأنّ دين الإسلام قائم على حقيقة أنّه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية، الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء.

أول خطوة في تثبيت الهوية الإسلامية هي التميز عن الجاهلية: تصوراً ومنهجاً وعملاً.

هذا التميز بهذه الصورة هو حجر الأساس، يشعره بأنّه شيء آخر غير هؤلاء لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه، لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح؛ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

إنّها الهوية المستقلة بحيث لا تلتفت إلى رجيع أفكار الآخرين وسَقَطِ هُوّياتهم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

حين نتميز بهويتنا ونعتز بشخصيتنا وننتصر من دواخلنا يحصل لنا السؤدد والتمكين.

وفي ختام الخطبة: أقرر إنّ الخوف على المصير والهوية، والذات، والوطن

أمر مشروع في ظل رؤية التبديلات الجارفة والعميقة التي أحدثها زلزال العولمة في كل الأمصار وعند كل الشعوب دون استثناء.